

الفصل الثاني عشر

الرجل اللامعقول

كتب جورج بيرناردشو George Bernard Shaw: «الرجل المعقول يكيّف نفسه مع العالم، والرجل اللامعقول يصر على محاولة تكييف العالم معه. وعلى ذلك فإن التقدم بكامله يعتمد على الرجل اللامعقول».¹

هل نستنتج أن «الرجل اللامعقول» هو وورن بَفت؟ وفي هذه السبيل يتعين علينا أن نفترض أن أسلوبه الاستثماري يمثل تقدماً في عالم المال، وهذا افتراض أطرحه بلا قيود، فنحن - حين ننظر إلى إنجازات الرجال «المعقولين» الحديثة - نرى في أحسن الأحوال عدم الانتظام، وفي أسوأها المصائب.

عندما يأتي ذكر ثمانينيات القرن العشرين يُحتمل أن تُعدّ بمنزلة عقد الصدمة المستقبلية لمُجريات الإدارة المالية، حيث سادت فيها المتاجرة بالبرامج وشراء المديرين حصصاً مهيمنة في الشركة بأسعار التراب وسندات شديدة المخاطرة وأوراق مالية منبثقة عن أوراق أخرى ومؤشرات مستقبلية جعلت فرائص الكثيرين من المستثمرين ترتعد خوفاً. لقد زالت الفروقات بين مديري المال وحلّت نزوة الحواسب محل تزاخم الأبحاث الجوهريّة، والصناديق السوداء محل مقابلات الإدارات واستقصاءاتها، والأتمتة محل البديهة.

وزاد الطين بلة في أواخر تسعينيات القرن العشرين، فساءت الأحوال أكثر حين تعاظم طغيان ظاهرة على الأسواق عُرفت بشكل عام باندفاع شركات النقطة - كوم dot-com واسماها وورن بَفت «الفقاعة الهائلة»، وكلنا نعرف ما يحدث للفقاعة عندما تتعاظم فتتفجر مخلفة وراءها بقايا لزجة تلتصق بكل من يحيط بها.

زال السحر عن معظم المستثمرين وأضحوا غرباء في أسواقهم المالية، وتركت نتائج الأسواق المتنازلة التي سادت سنوات ثلاثاً بين عامي 2000 و 2003 الكثيرين منهم يذوقون مرارة الأوضاع، ومن السهولة بمكان أن ندرك السبب الذي أدى إلى شيوع الاستثمار السلبي حتى في أيامنا هذه في ظل وجود الكثير من مدراء المال العاجزين عن اضافة أية قيمة لمحافظ زبائنهم الاستثمارية.

تمكن المستثمرون عبر العقود القليلة الماضية من تجربة العديد من أساليب الاستثمار المختلفة؛ صناديق الدفعات الدورية، والرسملة الصغيرة، والرسملة الكبيرة، وارتفاع قيمة الموجودات، والأوراق المالية التي تباع بأقل من قيمتها الحقيقية، وقوة ارتفاع السعر أو انخفاضه، والأفكار الجديدة، ودوران القطاع فجاءت في بعض الأحيان بمردود مالي حسن، ولكنها أبعدت أتباعها إلى متهات الأداء المتدني في أحيان أخرى. أما المستثمر الاستثناء - بفت - فلم يتعرض لفترات تدني الأداء إذ كان أداء استثماراته الموثق متفوقاً جداً بشكل راسخ متوال. وحين كان المستثمرون والمضاربون على حد سواء، يلهون بأساليبهم الاستثمارية الخفية، راح بفت يُراكم ثروة بمليارات الدولارات المتعددة، وأدواته الأعمال في ذلك، ودافعه إليها فلسفته القائمة على العقل السليم.

كيف فعل ذلك؟

لعل السؤال الأنسب - في ظل النجاح الموثق لأداء بفت والمتراقق ببساطة منهجه - هو: لماذا لم يطبق المستثمرون الآخرون منهجه؟ وقد يكمن الجواب في كيفية تفكير الناس بالاستثمار.

حينما يستثمر بفت يرى أمامه عملاً، ومعظم المستثمرين غيره لا يرون إلا أسعار الأسهم، ويُمضون الكثير من أوقاتهم وجهودهم يراقبون تغيرات الأسعار ويتنبؤون بها ويتوقعونها، لكنهم لا يصرفون من وقتهم إلا أقل القليل في فهم العمل الذي يمتلكون جزءاً منه. ورغم أن هذا الأمر هو من الأوليات، إلا أنه الأصل الذي يتميز بفت به.

أمر الأسهم بسيط، وكل ما تفعله هو شراء أسهم في عمل عظيم بسعر يقل عن قيمته الذاتية، تقوم عليه إدارة تتميز بالاستقامة والمقدرة العاليتين، ومن ثم تملك هذه الأسهم إلى الأبد.²

وورن بفت، 1990

حين ينشغل أرباب الاستثمار الآخرون بدراسة أنماط تسعير الأصول الرأسمالية ومقياس ارتباط سعر السهم بحركة السوق الإجمالية، ونظرية المحفظة الاستثمارية الحديثة، يكون بفت غارقاً في دراسة كشوف الدخل ومتطلبات إعادة الاستثمارات الرأسمالية والقدرة على توليد النقد في شركاته، ذلك أنه يتميز عن غيره من هؤلاء المستثمرين بخبراته الشخصية وتنوع أعماله وصناعاته. «هل تستطيع حقاً أن تشرح للسمة ماهية السير على اليابسة؟» سؤال يطرحه بفت، ويتابع: «يوم واحد على اليابسة يعادل آلاف السنين من الكلام عنه، ويوم واحد أيضاً من إدارة عمل ما يتميز القيمة نفسها».³

يرى بفت أن على المستثمر ورجل الأعمال أن ينظرا إلى الشركة بعين واحدة، لأنهما يريدان بالضرورة الشيء ذاته؛ فرجل الأعمال يريد أن يشتري الشركة بكاملها، أما المستثمر فأجزاء منها، ولذلك ينبغي عليهما من الناحية النظرية أن ينظرا إلى المتغيرات ذاتها لأنهما يسعيان نظرياً وراء المنفعة نفسها.

إذا تطلب التكيف مع استراتيجية بفت تغيير التطلعات المستقبلية، فربما تحول المزيد من المستثمرين إلى مؤيدين. لكن تطبيق أسلوب بفت لا يتطلب تغيير التطلعات فحسب، بل كيفية تقييم الأداء وإيصاله إلى الآخرين أيضاً. المقياس التقليدي لقياس الأداء هو تغير السعر؛ أي الفرق بين السعر الأصلي الذي دفعته عند شرائك السهم وسعره في سوق اليوم.

يجب أن يقارب سعر السهم السوقى - على المدى الطويل - التغير الحاصل بقيمة العمل، أما على المدى القصير فيمكن أن تتذبذب الأسعار صعوداً وهبوطاً إلى حد كبير عن قيمة الشركة لأسباب عديدة لامنطقية، وتبقى المشكلة كامنة في أن معظم المستثمرين يستخدمون هذه التغيرات قصيرة الأمد في الأسعار لقياس مدى نجاح أو إخفاق أسلوبهم الاستثماري، حتى ولو كانت علاقتها قليلة بتغيرات قيمة العمل الاقتصادية، وكبيرة بالتوقعات الخاصة بسلوك المستثمرين الآخرين.

تزداد الأمور سوءاً حين يطالب الزبائن الموظفين الماليين بتقديم تقارير أداء على فترات ربعية، ويصبح أرباب الاستثمار مهووسين بتغيرات أسعار الأسهم وهم يدركون أن على هؤلاء الموظفين أن يحسنوا أداءهم قصير الأمد، تحت طائلة خسارة زبائنهم.

السوق موجودة كنقطة مرجعية فقط لبيان ما إذا كان ثمة من يعرض القيام بعمل أحمق.⁴

وورن بفت، 1988

يرى بفت أن من حماقة استخدام الأسعار قصيرة الأمد للحكم على نجاح الشركة، وهو يدع المجال - عوضاً عن ذلك - لشركاته كي تتقدم إليه بتقارير عن قيمها من خلال تقدمها الاقتصادي، ويقوم مرة في السنة بتدقيق عدة متغيرات:

- العائد على أسهم رأس المال الابتدائية.
- التغيرات الحاصلة في هوامش التشغيل ومستويات الدين ومتطلبات النفقات الراسمالية.
- مقدرة الشركة على توليد النقد.

يَعْرِفُ بَفَتْ أَنْ التَّحَسُّنَ الْحَاصِلَ سَوْفَ يَنْعَكِسُ مِنْ خِلَالِ سَعْرِ السَّهْمِ إِذَا مَا أَبَدَتْ هَذِهِ الْمَعَايِيرُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ بَعْضَ التَّحَسُّنِ، وَلَكِنْ مَا يَقَعُ عَلَى أَسْعَارِ الْأَسْهُمِ عَلَى الْمَدَى الْقَصِيرِ يَبْقَى أَمْرًا غَيْرَ ذِي بَالٍ.

الاستثمار على طريقة وورن بَفت

هَدَفَ هَذَا الْكِتَابُ الرَّئِيسَ مَسَاعِدَةَ الْمُسْتَعْتِمِرِينَ عَلَى فَهْمِ وَاسْتِخْدَامِ الْاِسْتِراتِيجِيَّاتِ الْاِسْتِثْمَارِيَّةِ الَّتِي جَعَلَهَا بَفَتْ نَاجِحَةً. وَأَمْلِي - بَعْدَ أَنْ نَهَلْتُمْ مِنْ خَبْرَتِهِ السَّابِقَةِ - أَنْ تَتِمَكَّنُوا مِنَ الْمَضِيِّ قَدُمًا فِي تَطْبِيقِ طَرَائِقِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَرَوْنَ فِي مَسْتَقْبَلِ الْأَيَّامِ أَمْثَلَةً عَنْ مَشْتَرِيَّاتٍ «عَلَى طَرِيقَةِ بَفَتْ» وَتَكُونُونَ فِي وَضْعٍ يُمْكِنُكُمْ مِنَ الْاِسْتِفَادَةِ مِنْ تَعَالِيهِهِ.

فَمَثَلًا، حِينَمَا ...

● تَجَبَّرُ سَوْقُ الْأَوْرَاقِ الْمَالِيَّةِ أَسْعَارَ عَمَلٍ جَيِّدٍ عَلَى الْهَبُوطِ، كَمَا حَصَلَ لِصَحِيفَةِ وَاشْنَطْنِ بَوَسْتِ.

● أَوْ تَجْرِي مَعَاقِبَةُ عَمَلٍ مَا بِسَبَبِ خَطَرٍ مَا، كَمَا حَصَلَ لِمَصْرَفِ وِيلْزِ فَارْغُو.

● أَوْ يَفْسَحُ مُسْتَعْتِمِرٌ مِنْ خِلَالِ إِهْمَالِهِ الْمَجَالَ لِتَسْغِيرِ عَمَلٍ مِمْتَازٍ مِثْلَ كُوكَا كُولَا بِنِصْفِ قِيَمَتِهِ الذَّاتِيَّةِ.

... سَيُنَالُ الْمُسْتَعْتِمِرُونَ - الَّذِينَ يَعْرِفُونَ كَيْفَ يَفْكُرُونَ وَيَتَصَرَّفُونَ مِثْلَ بَفْتِ - مَكَافَأَتَهُمْ.

إِنْ طَرِيقَةُ وُورْنِ بَفْتِ الْاِسْتِثْمَارِيَّةِ سَهْلَةٌ إِلَى حَدٍّ خَدَّاعٍ، فَلَيْسَ فِيهَا بَرَامِجٌ حَاسُوبِيَّةٌ يَجِبُ اسْتِحْفَازُهَا، وَلَا كُتُبٌ مَصْرُفِيَّةٌ اسْتِثْمَارِيَّةٌ مَتَعَبَةٌ يَجِبُ حُلُّ رَمُوزِهَا، وَلَا يَوْجَدُ مِنَ الْعِلْمِ شَيْءٌ فِي تَقْيِيمِ عَمَلٍ ثُمَّ دَفْعِ سَعْرِ يَاقِلَ عَنْ قِيَمَتِهِ. يَقُولُ بَفْتِ: «مَا نَقُومُ بِهِ لَا يَزِيدُ عَنْ حُدُودِ كَفَاءَةِ أَيِّ شَخْصٍ غَيْرِنَا، وَلَيْسَ مِنَ الْضَرُورِيِّ الْقِيَامُ أَبَدًا بِأَيِّ عَمَلٍ غَيْرِ عَادِيٍّ لِتَحْقِيقِ نَتَائِجٍ غَيْرِ عَادِيَّةٍ».⁵

السخرية هي أن نجاح بفت يكمن جزئياً في إخفاق الآخرين، وهو يشرح ذلك بقوله: «ساعدي وجود عشرات الآلاف (من الطلاب) الذين تخرجوا من كليات إدارة الأعمال بعد أن تعلموا أن التفكير لايجدي نفعاً أبداً»⁶ وأنا لأقصد هنا أن ألمح إلى أن بفت رجل من أواسط الناس، فهو بعيد كل البعد عن ذلك ولا مجال للمجادلة في أمنيته، لكن الفجوة بينه وبين غيره من أرباب الاستثمار تتوسع بسبب رغبتهم بممارسة لعبة الخاسر التي اختار ألا يلعبها. وأمام قراء هذا الكتاب الخيار نفسه.

توفر لك طريقة وورن بفت المساعدة على الوصول إلى عوائد استثمارية مُجزية سواء كنت قادراً على شراء 10% من شركة ما أو مئة سهم فقط، لكن هذا الأسلوب لن يساعد إلا الذين يرغبون في مساعدة أنفسهم، وعليك - كي تحقق النجاح - أن تكون راغباً بالتفكير الذاتي، وإذا احتجت إلى إثبات دائم - من سوق الأوراق المالية على وجه الخصوص - بأن قراراتك الاستثمارية صائبة خسرت أرباحك، أما إذا فكرت بنفسك، وطبقت مناهج فيها بعض السهولة، وتمتعت بشجاعة الإيمان، فقد زدت من فرصك في تحقيق الأرباح إلى حد كبير.

كلما جرب الناس أشياء جديدة تملكهم شيء من الرهبة، ومن الطبيعي أن يؤدي اعتناق استراتيجية استثمارية جديدة مختلفة إلى بعض المتاعب. الخطوة الأولى في طريق وورن بفت تمثل التحدي الأكبر، فإذا استطعت التغلب عليها سهلت عليك بقية الخطوات.

الخطوة الأولى: أطفئ نور سوق الأوراق المالية

تذكر أن سوق الأوراق المالية تسبب الكآبة الجنونية، فهي تشعشع في بعض الأحيان بالتوقعات المستقبلية المشيرة، وبالكآبات اللامعقولة في أحيان أخرى. ومن الطبيعي أن تصنع هذه السلوكية الفرص، خصوصاً عندما تعرض أسهم شركات مُبرزة بأسعار منخفضة لامعقولة، إلا أن عليك ألا تغتر فتفسح للسوق المجال للسيطرة على أفعالك تماماً كما لاتسمح لنفسك بالسير في الاتجاه الذي ينصحك به مُشاور يُظهر ميولاً كئيبة جنونية.

سوق الأوراق المالية ليست آمنة نهائية ولكنها موجودة فقط لتساعدك عبر آليات شراء الأسهم وبيعها، وإذا ظننت أن السوق أذكى منك فقدّم لها أموالك لتستثمرها عنك في صناديق استثمارية مرتبطة بمؤشرات، أما إذا أنجزت وظيفتك، وفهمت عملك، ووثقت بأنك تعرف عن عملك أكثر مما تعرفه السوق فعليك أن تطفئ أنوارها.

لا يمتلك بفت آلة تعرض أسعار الأسهم في مكتبه، ويبدو أنه يتدبر أموره بشكل حسن بعيداً عنها. إذا كنت تخطط لامتلاك أسهم في عمل مبرّر سنوات عديدة، فلا تلتفتن إلى ما يحدث في السوق بين يوم وآخر، وما أنت بحاجة إليه فعلاً هو أن تحضر بانتظام لتبحث عن واقعة توفر لك فرصة رائعة، لكنك ستري أن محفظتك الاستثمارية تسير سيراً حسناً حتى ولو لم تنظر إلى السوق بصورة متوالية.

يقول بفت: «لن يزعجنا - بعد أن نشترى الأسهم - أن تغلق السوق أبوابها سنة أو سنتين، فلسنا بحاجة إلى عرض للأسعار اليومية لقاء مجموع أسهمنا في سيز See's أو إتش.إتش. براون H.H. Brown لتجعل عيشنا هنيئاً. لماذا، والحالة هذه، نحتاج إلى عرض بفائدة مقدارها 7% (زادت اليوم عن 8%) على شركة كوكا كولا؟»⁷

ما يزال بفت يخبرنا أنه ليس بحاجة إلى أسعار السوق لجعل استثمارات شركة بيركشير في الأسهم العادية صالحة. وهذا الأمر يبقى حقيقة بالنسبة إلى المستثمرين الأفراد. إنك تعرف أنك اقتربت من مستوى بفت عندما يتحول انتباهك إلى سوق الأوراق المالية بسؤال وحيد: «هل ارتكب أحد في الفترة الأخيرة حماقة توفر لي فرصة لشراء عمل جيد بسعر رائع؟».

الخطوة الثانية: لاتقلق بشأن الاقتصاد

تماماً كما يصرف الناس ساعات دون جدوى في القلق حيال سوق الأوراق المالية، كذلك يقلقون بشأن الاقتصاد بلا ضرورة، فإذا وجدت نفسك تناقش وتجادل في أن الاقتصاد يتوازن نحو

النمو أو ينحدر نحو الكساد، أو أن أسعار الفائدة ترتفع أو تنخفض، أو أن هناك تضخم أو تحسن في العملات، فعليك بالتوقف والاستراحة.

كثيراً ما ينطلق المستثمرون من فرضية اقتصادية ثم يبحثون في أمر اختيار الأسهم التي تتناسب بصورة جيدة مع هذا التصميم الكبير. يُعدُّ بَفت هذا التفكير ضرباً من الحماسة، أولاً؛ لأنه ليس ثمة من يتمتع بقدرات تخمينية اقتصادية أكثر من قدراته على التنبؤ بأحوال سوق الأوراق المالية، وثانياً إذا اخترت الأسهم التي تستفيد من بيئة اقتصادية معينة، فأنت لابد تستدرج دوران رأس المال ومضاربات حين تقوم على الدوام بتعديل موجودات محفظتك الاستثمارية لتستفيد في برمجة الأحداث الاقتصادية اللاحقة.

يفضل بَفت أن يشتري عملاً له فيه فرصة الاستفادة في أية بيئة اقتصادية، وربما أثرت القوى الاقتصادية الكلية في عائدات الهوامش، لكن مجمل أعمال بَفت في نهاية المطاف قادرة على تحقيق الربح الحسن بالرغم من النزوات الاقتصادية. إن صرف الوقت بمزيد من الحكمة - في تحديد وامتلاك عمل يمكن أن يحقق ربحاً في جميع البيئات الاقتصادية - ينطوي على عقلانية أكثر من استئجار مجموعة من الأسهم، لاتفلح إلا إذا تحقق بمحض المصادفة تخمين اقتصادي.

الخطوة الثالثة: اشتر عملاً لا أسهماً

لنقل إن عليك أن تتخذ قراراً هاماً جداً، إذ ستمنح لك في الغد فرصة لانتقاء عمل تستثمر فيه. وحتى يكون هذا الأمر ممتعاً دعنا نتظاهر بعدم إمكان الرجوع عن قرارك هذا بعد اتخاذه، وأن عليك الاحتفاظ باستثماراتك سنين عديدة، وأن الثروة التي تتولد في نهاية المطاف عن امتلاك هذا العمل ستقيم أودك عند تقاعدك. فما هي الأمور التي تفكر بها الآن؟

ربما تتدافع عدة أسئلة في ذهنك، وتسبب لك قدراً كبيراً من الارتباك، لكن بفت سيبدأ - فيما لو أعطيَ هذا الاختبار - بقياس العمل بصورة منهجية مستخدماً مذاهبه الواحد تلو الآخر:

● هل العمل بسيط ومفهوم، ويتمتع بتاريخ تشغيلي راسخ متوال ونظرات مستقبلية طويلة الأمد؟

● هل يقوم على إدارته مديرون أمناء أكفاء، يخصصون رأس المال بعقلانية، ويتواصلون بصراحة مع المساهمين ويقاومون الإملاءات المؤسسية؟

● هل اقتصاديات الشركة في حال جيدة؛ تتميز بهوامش ربح عالية، وأرباح المالكين، وقيمة سوقية متزايدة تقابل الأرباح المحتجزة؟

● وأخيراً، هل هو معروض بحسم عن قيمته الذاتية؟ وعليك هنا أن تتبّه إلى أن هذه الخطوة هي التي ينظر إليها بفت في سعر سوق الأوراق المالية.

إن حساب قيمة العمل غير معقد من الناحية الرياضية، إلا أن المشكلات تظهر حينما نخطئ بتقدير تدفق الشركة النقدي المستقبلي. يعالج بفت هذه المشكلة بطريقتين: الأولى أن يزيد من فرص تنبؤاته بالتدفقات النقدية المستقبلية بشكل صحيح من خلال الالتزام بأعمال بسيطة وذات سمة راسخة. والثانية أن يصر على هامش أمان بين سعر شراء الشركة وقيمتها المقررة، حيث يساعد هذا الهامش على إيجاد مجال يؤمن حمايته - وحمايتك - من الشركات التي تتغير تدفقاتها النقدية المستقبلية.

الخطوة الرابعة: عليك بإدارة محفظة استثمارية للأعمال

ستتغير بنية محفظتك الاستثمارية الآن بعد أن أصبحت مالكا للعمل لامستأجراً للأسهم. وبما أنك لم تعد تقيس نجاحك فقط بمدى تغيرات الأسعار، أو مقارنة تغيرات الأسعار السنوية بمعايير الأسهم العادية، فإنك حرّ

في انتقاء أفضل الأعمال المتوفرة. ليس ثمة قانون يقول إن عليك أن تضمّ في محفظتك الاستثمارية كل صناعة، أو أن تضمّنها 30 أو 40 أو 50 سهماً كي تحقق تنوعاً وافياً.

يعتقد بفت أن التنوع الواسع مطلوب فقط حينما لا يفهم المستثمرون ما يفعلون. ولو أن هؤلاء المستثمرين «الذين لا يعرفون شيئاً» أرادوا امتلاك أسهم عادية لما كان عليهم إلا أن يضعوا أموالهم في صناديق استثمارية مرتبطة بمؤشر، لكن التنوع التقليدي الذي يضم عشرات من مجموعات الأسهم يؤدي غرض المستثمرين الذين لديهم «بعض المعرفة». يطرح عليك بفت سؤالاً يريدك أن تدرسه: إذا كان أفضل عمل تمتلكه يقدم لك أقل خطر مالي ويمتلك أفضل التطلعات المستقبلية طويلة الأمد، فلماذا تضع أموالك في عملك المفضل العشرين بدلاً من إضافتها إلى اختيارك الأول؟

تبدأ كثير من الأمور بالتغير بعد أن أصبحت تديرُ محفظة استثمارية تضم أعمالاً، أولها قلة في احتمالات بيع أعمالك الفضلى ليس لسبب سوى إعادة الأرباح، وثانيها اتخاذك أعمالاً جديدة بشرائها بمزيد من العناية الفائقة. وستقاوم مغريات شراء شركة هامشية، لالسبب غير أن لديك احتياطياً نقدياً. عليك بالصبر وانتظار الشركة الصحيحة، وإذا لم تنجح الشركة في المرور من خلال مصفاة مذهبك فلا تشتريها. من الخطأ أن تفترض أنك لا تحرز تقدماً إذا توقفت عن البيع والشراء، ذلك أن بفت يرى صعوبة كبيرة في اتخاذك مئات من القرارات الذكية في حياتك، ويفضل أن يركّز على محفظته الاستثمارية، حيث يتخذ حفنة من القرارات الذكية فقط.

عصارة فكرة وورن بفت

التخصيص العقلاني لرأس المال هو الدافع وراء استراتيجية وورن بفت الاستثمارية، وأهم قرار يتخذه المدير هو تحديد مصارف أرباح الشركة، والعقلانية - أي إظهار التفكير العقلاني عند التحديد - هي أكثر الصفات التي

تنال إعجاب بَفَت. ورغم النزوات التي تحيط بالأسواق المالية إلا أن شيئاً من العقلانية يسود فيها، وما نجاح بَفَت إلا نتيجة لتعيين موضع هذا الخط العقلاني وليس الإنحراف عن مسيرته.

نال بَفَت حظه من الإخفاق، وما من شك في أنه سيخفق بضع مرات في السنوات القادمة، لكن النجاح الاستثماري ليس عرضاً مترافقاً مع العصمة، إلا أنه يحدث بفعل الصواب أكثر من الخطأ، ولا تشذ طريقة وورن بَفَت الاستثمارية عن ذلك، فنجاحها يعتمد كثيراً على الابتعاد عن الأشياء التي توقعك في الخطأ، وهي عديدة ومُحَيِّرة (التنبؤ بأوضاع السوق، والأمور الاقتصادية، وأسعار الأسهم)، وكذلك على الأشياء التي توصلك إلى الصواب، وهي قليلة وبسيطة (تقييم عمل ما).

حينما يشتري بَفَت أسهماً يركز على متغيرين بسيطين:

سعر العمل وقيّمته، ويمكن العثور على سعر العمل من خلال النظر في عروض أسعاره، أما تحديد قيمته فيتطلب حساباً، ولكنه ليس بعيداً عن مُدركات الراغبين في بذل شيء من العمل الجاد.

ليس الاستثمار بالأمر المعقد، وتحتاج إلى معرفة المحاسبة، فهي لغة الأعمال. يجب عليك أن تقرأ كتاب المستثمر الذكي *The Intelligent Investor*، فانت بحاجة إلى العقل السليم والمزاج الصحيح، وأن تكون العملية شغلك الشاغل، وابق ضمن دائرة كفاءتك. اقرأ كتب بن غراهام Ben Graham وفيل فيشر Phil Fisher والتقارير السنوية وكذلك التقارير التجارية، ولكن لاتحل معادلات فيها أحرف يونانية.⁸

وورن بَفَت، 1993

وبما أنك لم تعد تقلق بسبب سوق الأوراق المالية أو الاقتصاد أو التنبؤ بأسعار الأسهم، فأنت اليوم حرّ بقضاء وقت أكبر في فهم أعمالك، ويمكنك أن تمضي المزيد من الوقت المثمر في قراءة التقارير السنوية والمقالات الخاصة بالعمل والصناعة كي تحسّن بذلك معرفتك باعتبارك اليوم من المالكين. والحقيقة أن اعتمادك على غيرك - ممن يعيشون على تقديم النصح للناس كي يقوموا بأفعال لاعقلانية - يقلُّ بمقدار مازداد رغبتك في البحث في شؤون عملك.

ولسوف تنبثق أفضل الأفكار الاستثمارية في نهاية المطاف عن أدائك لوظيفتك، عليك ألا تشعر بالخوف، فطريقة وورن بفت ليست بعيدة عن مُدركات معظم المستثمرين، ولن تحتاج إلى أن تكون مرجعاً على مستوى حملة الماجستير في إدارة الأعمال في مجال تقييم الشركات حتى تستخدم تلك الطريقة بنجاح، ومع ذلك فإذا شعرت بشيء من الانزعاج عند تطبيق هذه المذاهب بنفسك، فليس ثمة ما يمنعك من طرح هذه الأسئلة ذاتها على مستشارك المالي. إن مقدار فهمك وتقديرك لطريقة وورن بفت الاستثمارية يتزايد في الواقع حين تجري المزيد من الحوار حول الأسعار والقيم.

لقد حاول بفت طوال حياته مباشرة الاستثمار بطرق مختلفة، إذ بدأ مطلع حياته برسم خطوط الأسهم البيانية، ثم درس بنيامين غراهام، المفكر المالي الأملّي الأكبر في القرن العشرين، وأدار وامتلك مجموعة من الأعمال مع شريكه تشارلي مُنغر، ثم خبر خلال العقود الخمسة الماضية أسعار الفائدة ذات الرقمين والتضخم الشديد وحالات تحطم سوق الأوراق المالية. لكنه وجد ضالته - بالرغم من كل المنغصات - في النقطة التي يكون فيها لكل شيء معنى؛ النقطة التي تتعايش فيها الاستراتيجية الاستثمارية مع الشخصية. «إن موقفنا الاستثماري» كما يقول بفت «يتناسب مع شخصياتنا والطريقة التي نريد أن نعيش بها حياتنا».⁶

ينعكس هذا التناغم بسهولة من خلال موقف بفت، فهو دائماً مبتهج ويقدم الدعم، وتتملكه نشوة حقيقية حين ينطلق كل يوم إلى عمله، وفي ذلك يقول: «لدي هنا تحت يدي كل ما أريده في حياتي. أحب كل يوم، أعني أرقص هنا وأعمل مع الناس الذين أحبهم»،^٧ ويضيف «وليس ثمة وظيفة في العالم أكثر تسلية من إدارة شركة بيركشير، وإنني لأخال نفسي محظوظاً بوجودي في المكان الذي أنا فيه».^٨



ملاحظة من المغرب: ورد في الصفحة ٢٨٧ رقم الحاشية ٨ ثم وردت في الصفحتين التاليتين ٢٨٨ - ٢٨٩ أرقام الحواشي ٦ و ٧ و ٨ والصحيح ٩ و ١٠ و ١١ ولكني تركتها دون تصحيح، فاقضى التنويه.